النتاج الجديد

الموسوعة العربية الميسرة

باشراف محمد شفيق غربال . دار القلم ومؤسسة فرانكلين، القاهرة ، ١٩٦٥

يحتفل العالم بعد سنتين بمرور قرنين على بدء العمل في اشهر دوائر المعارف (وان لم تكن اولاها) . ففي ١٧٦٨ بدأ اعداد دائرة المعارف البريطانية التي كان صدور اول اجزائها في اولى طبعاتها (١٧٧١) عاملا على اصدار عدد غير قليل من دوائر المعارف الاخرى بلغات العالم المختلفة ، لادراك بحاثي الشعوب الاكثر تقدما ، وجامعييها، لاهمية وضع مرجع عام لكافة القضايا والمواضيع الهامة التي يتوقف المرء عندها احيانا ويحتاج الى من يصحح له معلوماته حولها او يزيد منها . حتى اصبحت الموسوعات، في قرن من الزمان ، ضرورة ثقافية لاي مجتمع ، واصبحت ، بالتالي ، معلما من معالم التقدم الحضاري للمجتمع . هذا ما حمل اكثر من باحث عربي في السنين المائة الاخيرة على محاولة مجاراة الامم الاخرى باصدار موسوعة عربية. وقد تقاسم فضل هذه المحاولات باحثون من لبنان ومصر، اولهم بطرس البستاني الذي شرع في اصدار « دائرة معارف البستاني » عام ١٨٧٦ ليخلفه في العمل، بعد وفاته في١٨٨٣، عدد من افراد اسرته آخرهم فؤاد افرام البستاني الذي يحاول ، منذ ١٩٥٤ ، اعادة اخراج الاجزاء الاحد عشر التي صدرت من الموسوعة في القرن التاسع عشر . وقد اخذت مصر زمام هذا الفن من البستانيين. فاصدر محمد فريد وجدي «دائرة معارف القرن العشرين» في فترة ما بين الحربين العالميتين، بينما ترجم كتّاب مصريون آخرون اقساما من « دائرة المعارف الاسلامية » التي صدرت في ليدن باكثر من لغة بين ١٩٠٩ و ١٩٣٨ . واستقبلت المكتبة العربية ، في السنوات الخمس عشرة الاخيرة، ست موسوعات اقل شهرة من الموسوعات السابقة : دائرة المعارف الحديثة والقاموس الاسلامي لاحمد عطية الله ، ودائرة معارف الناشئين ودائرة معارف الشباب لفاطمة محجوب، والموسوعة العربية لنجيب فرنجية، والموسوعة الذهبية لابراهيم عبده .

لم تسدّ اية من هذه الموسوعات حاجة القارىء العربي الى عمل شامل دقيق منظم كامل يلجأ اليه للتحقق من المواضيع المختلفة . فان معظمها حصر نفسه في حقل واهمل الحقول الاخرى، او وصل الى احد احرف الابجدية وتوقف عنده . هذا ما حمل مؤسسة فرانكلين في القاهرة ، بالاشتراك مع دار القلم ، على اصدار « الموسوعة العربية الميسرة » بعد اعداد استغرق ست سنوات اشترك فيه اكثر من مائة باحث عربي ليكتبوا حوالي واحد وعشرين الف مادة ، خمساها تأليفا اصيلا وثلاثة اخماسها الاخرى ترجمة متصرفة جدا عن « دائرة معارف كولومبيا » الامريكية . فالموسوعة ، اذاً، اول موسوعة عربية شاملة كاملة تحرر بشكل جماعي وباسلوب علمي منظم ، فتصدر في الفي صفحة ، مع لوحات وجداول وخرائط ، دون ان تكون مطبوعة بطابع شخصي واحد ، ولا حتى مؤسسة واحدة ، بل تكون عامة عمومية دوائر المعارف الغربية الشهيرة . وقد عمل هذا الجمع بين المواد الموضوعة والمترجمة على ان تقيم الموسوعة توازنا لا بأس به بين الاهتمامات العربية والعالمية دون ان ترجح كفة على حساب اخرى : ليس فقط من حيث انها تعالج المواضيع والشخصيات المهمة ، الاجنبية والعربية، معا دون محاباة، بل ايضا من حيث انها عندما تعالج موضوعا عالميا عاما ما (كالاوبرا، او النفط ، او الكوليرا) لا تحصر درسه وامثلته بالغرب واختبارات الغرب بل تنتقل به ، بعد مقدمة عامة ، الى وضعه ومركزه في الدنيا العربية (وفي مصر على الاخص في معظم الاحيان) . وقد

نجح محررو الموسوعة في تفـادي خطأ المعالجة العاطفية ، او على الاقل السماح للعواطف بان تلعب دورها في استعراض المواضيع والقضايا الاجنبية ، وهو الخطأ الذي وقعت به محاولات عربية كثيرة في الكتابة عن المواضيع والقضايا العـالمية . واحتفظت الموسوعة بحد كبير من الموضوعيـة والاتزان حتى في اكثر الامور اثارة للعواطف ، بمثل ما نجحت بـه من تقديم وجهة النظر العربية الخاصة حيث لا بد من تقديم وجهة نظر .

مع هذه الانجازات التي حققتها الموسوعة تظل خيبة الامل بالموسوعة اكبر ، واقسى بلا شك ، من ان تخفف منها ضخامة المحاولة ، والحاجة التي دعت لها ، والاقلام التي حررتها وكتبتها ، والجهود التي رافقتها مدة ست سنوات على الاقل : خيبة الامل بان تسد الموسوعة الفراغ الحاصل في الثقافة العربية الموسوعية الى حين صدورها ، وبان تكون نتيجة السعي لسد الفراغ في مستوى الجهد المبذول فيه .

المجموعة الاولى من المآخذ التي نسجلها على هذا العمل الضخم تتعلق بالتحرير لا بكتابة المقالات . والموسوعة ، ككل عمل من نوعها ، ليست مجرد مادة بل هي ايضا تحرير : توازن بين المواضيع المختلفة ، وتوازن بين النواحي المختلفة في الموضوع الواحد ، وترتيب منظم للمواضيع . وانه لمن سوء حظ الموسوعة ، مثلمـا هو من سوء حظ الفكر العربي المعاصر ، ان فارق الحياة اثنان من المشرفين على تحرير الموسوعة قبل الاوان ، قبل ان ينجزا مـا بدآه من خدمات للفكر العربي : محمد شفيق غربال ، رئيس مجلس مديري الموسوعة ، واسماعيل مظهر ، احد رئيسي تحريرها . توفي كلاهما خلال تحضير الموسوعة ، ليلحق بهما رفيق ثالث ، هو حسن جلال العروسي ، عضو مجلس المديرين والمستشار العام لمؤسسة فرانكلين ، بعد صدور الموسوعة بايام . لا بد ان تقطع العمل بسبب هذه الخسائر ادى الى شيء من الضعف في التحرير والى تراكم المسؤوليات والواجبات على مكتب التحرير ، مما نتج عنه ، كما يبدو جليا عند تصفح الموسوعة ، الكثير من فقدان التوازن بين المواضيع المختلفة ، مع ان التوازن صفة اساسية لا نجاح لعمل موسوعي بدونها .

الامثلة على عدم التوازن في احجام المواضيع المختلفة وافرة : اربعـة اعمدة ونصف عن الامبراطورية الرومانية المقدسة وعمود واحد عن الامبراطورية العثمانية . ثلاثة عواميد عن ايرلندا وعمود ونصف عن البرازيل . مـادة بحر الغزال اوسع من مـادة البحر الابيض المتوسط . الكلام عن ام كلثوم اربعة اضعاف الكلام عن الحاكم بامر الله . وبطرس غالي ضعف القديس بطرس . وابن بطوطة خمسة اضعاف ابن جبير . والعراق ومصر ، معا ، ثلاثة اضعاف فلسطين وسوريا ولبنان معا .

كذلك تتوافر الامثلة على عدم التوازن في اختيار اعلام الشخصيات (خاصة العربية) ليرد ذكرهم في مقالات مستقلة ، بينما تجاهلت الموسوعة اسماء اخرى لا يقل اصحابهـا شهرة عمن ورد ذكرهم . ولا شك ان امر تقرير من يذكر في مقال مستقل ومن لا يذكر الا هامشيا او لا يذكر على الاطلاق ، هو على غاية من الصعوبة ، يتعرض له ويعاني من نتائجه رئيس تحرير كل موسوعة . ولا بد من بعض الاخطاء : من بعض الاهمـال او بعض المحاباة . واخشى ان تكون اخطاء موسوعتنا في هذا القبيل قد فاقت الحد المتوقع . فبينما يذكر صحافي مثل كريافص ميخائيل ، وخطاط مثل يوسف احمـد ، ومغنٍ مثل يوسف المنيلاوي ، وبيولوجي مثل محمد ولي ، وضارب على الكمان مثل ابراهيم سهلون ، وملحن مثل ابراهيم قباني ، وشاعر مثل محمد البزم ، وكاتب مسرحي مثل برهان العبوشي ، ورسام مثل توفيق طارق ، — لا يخصص لعدد من الاعلام العرب مقـال منفصل ، وبعضهم لا يرد اسمه على الاطلاق ، امثال جورج شحادة وشارل القرم وانسطاس الكرملي واحمد سامح الخالدي ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب وسعيد عقـل وعبد الرزاق الحسيني وقسطنطين زريق وجواد سليم ومارون عبود وميشال شيحا وخير الدين التونسي . وتذكر الموسوعة نجيب محفوظ الطبيب ولا تذكر نجيب محفوظ الاديب في مقـال منفصل . وتذكر ثورة مصر ١٩١٩ ولا تذكر ثورة العراق ١٩٢٠ ولا ثورة سوريا ١٩٢٥ . وتذكر ثورة الجزائر الكبرى ولا تذكر ثورة فلسطين الكبرى . وتذكر الجمعية الاردنية للعلوم ولا تذكر جمعية خريجي الجامعة الامريكية

في بيروت . وتذكر النجادة ولا تذكر الكتائب . تذكر ميثاق مصر الوطني (١٩٦٢) ولا تذكر ميثاق لبنان الوطني المعمول به منذ ١٩٤٣ . تذكر مؤتمر الاذاعات الافريقية ١٩٦٣ ولا تذكر المؤتمرات القومية الرائـــدة في دمشق ١٩٢٠ والقدس ١٩٣١ وبلودان ١٩٣٧ . تذكر مجلة عاشت سنة واحدة (« القلم الجديد » ، بعمان) ولا تذكر صحفا مثل « الدفاع » و « فلسطين » تصدر منذ اكثر من ثلث قرن. تذكر حسني الزعيم ولا تذكر اديب الشيشكلي .

اننا نلاحظ هـــاتين الملاحظتين عند مراجعة اسماء من كتبت عنهم المقالات ومقارنتها بمن لم يكن لهم الحظ بذلك : اولاهما ان هناك توكيدا على الشخصيات والمواضيع المصرية من دون المواضيع والشخصيات العربية الاخرى، الى حد ما. انا لا اردد الزعم الشائع بان الباحث المصري يجهل او يتجاهل النتاج العربي خارج مصر . لكني لا استطيع ان انفي ان المسؤولين عن تحرير الموسوعة ، مصريين وغير مصريين، غلّبوا احيانا شخصيات مصرية اقل شهرة على شخصيات عربية غير مصرية اكثر شهرة (ربما في مصر نفسها ايضا) . والملاحظة الثانية ان ما من جماعة مهنية عربية (لا السياسيون ولا الادباء ولا المفكرون) كان لهم الحظ الذي ناله ، نسبيا ، جماعة الملحنين والمغنين والعازفين العرب ، وجماعة الاطباء المصريين ، وخـاصة ممن لمعوا في القرن الماضي ومطلع هذا القرن .

من مجالات عدم التوازن ، ايضا ، ان تعالج مادة مـا نواحي اقل اهمية في تاريخ الموضوع على حساب نواحٍ اخرى اهم. يتحدث القسم الاكبر من مقال الملك فؤاد عن علاقاته مع الانكليز دون ذكر دكتاتوريته وخلافاته مع الوفد . ويخلو مقال فؤاد سليم من ذكر دوره السياسي والعسكري في شرقي الاردن . ويغفل مقـال عزيز علي المصري دوره الشهير في تكوين حزب العهد ضد الاتراك . ولا ذكر لاعمال المسيح في طبرية في المقال عنها ، ولا لحصار نابوليون لعكا في المقال عنها ، ولا لاتخاذ الارز شعارا للبنان في المقال عن الارز . ويرد في المقال عن محمد صادق ذكر كتاب ثانوي له، «مشعل الحج » ، دون ذكر كتاب شهير جدا ، « دليل الحج » . وتتكلم الموسوعة عن ارتقاء الامام يحيى عرش اليمن ١٩٠٤ ثم عن مقتله ١٩٤٨ دون ان تتكلم عنه او عن اليمن في ما بين هذين التاريخين . وتذكر ان رشيد عالي الكيلاني كان سكرتيرا خاصا لفيصل في وقت من الاوقـــات ولا تذكر دوره باحداث ١٩٤١ الشهيرة في العراق ـ تكتفي بالقول انه نفي من البلاد، مع انه حكم عليه بالاعدام غيابيا بعد ان غادر العراق ولم ينف .

نلاحظ ان تفضيل الامر المهم على الاكثر اهمية، احيانا، انما يعود بعضه الى حرص محرري الموسوعة على عدم معالجة المواضيع بشكلها العام بل ابراز ما فيها من صلات بالتاريخ او الواقع العربي . لكن ذلك الحرص ادى في بعض المقالات الى اغفـــال الاهمية الذاتية للموضوع ، او الى التفريط بها على الاقل . فغير مهم في موسوعة مختصرة كهذه ان يذكر ، عند الكلام عن طويني او الاولدفيك وجومو كنياتا ، ان كلا منهم زار القاهرة ، وان دمشق هي دمسكو باللغة المصرية القديمة ، وان مدينة بور سعيد نالت وساما من الملك حسين . ففي تاريخ كل من هؤلاء الاشخاص او المدن ما هو اهم من ذلك ولم يسجل لضيق المجال .

من المآخذ الاخرى على التحرير ، عدم وجود خطة موحدة في وضع اسماء الاعلام كعناوين المقالات . امـــام اية موسوعة ان تختار اسلوبا من ثلاثة : امـا ان تبدأ بالاسم الصغير ، او بالاسم العائلي ، او ان يترك ذلك الى شيوع الاسم بالذات بين الناس : يبدأ بالاسم الصغير اذا كان الشخص معروفـــا به والا فيبدأ بالاسم العائلي . غير ان موسوعتنا لم تتقيد باحد هذه الاساليب ، بل جمعت بينها بحيث اصبح الذي يبحث عن اسم فيها يضيع بين الاسماء ويضطر احيانا الى التفتيش طويلا قبل العثور على الاسم المنشود في المكان الموجود به . فموسى كاظم الحسيني يجيء تحت « الحسيني » بينما امين الحسيني تحت « امين » . وجميل مردم تحت جميل وخليل مردم تحت مردم . ونقولا حداد تحت حداد بينما نقولا الترك تحت نقولا. ومارلين مونرو تحت مـــارلين بينما جيمس هونرو تحت مونرو. وفرح انطون وانطون الجميل كلاهما تحت

انطون . وجامعة اكسفورد تحت جـــامعة بينما جامعة كيمبردج تحت كيمبردج . ورشيد كرامة تحت رشيد بينما والده عبد الحميد كرامة تحت كرامة (وقد كتب اسم الاب « كرامة » والابن « كرامي » !) . وبشارة الخوري السياسي تحت خوري بينما بشارة الخوري الشاعر تحت بشارة .

ليس القارىء هو وحده الذي يتضايق من هذه اللخبطة في عدم اتباع طريق موحد في استعمال الاسماء . المحرر نفسه وقع ضحية هذه اللخبطة . لذلك تجد ان هناك مقالين مختلفين عن رفاعة رافع الطهطاوي : احدهما تحت رفـاعة والآخر تحت الطهطاوي . ومن حسن حظ المحرر والقـــارىء معا ان المعلومات التي ترد في المقالين لا تتناقض — عكس ما حصل في حال رتشرد بيرتون . فبسبب عدم وجود خطة موحدة في تهجئة الاسمـــاء الاجنبية ، ذكر هذا المستشرق مرتين : مرة باسم برتون واخرى باسم بيرتون . وبينما كان تاريخ ميلاده في احد المقـــالين ١٨٢١ كان في الآخر ١٨٤١ .

وهذا مثل آخر على تقصير التحرير : يحـــال القارىء في نهاية مقال «نفط» الى مقال «بترول» . ويقلب الصفحات اليه فلا يجد الا ثلاث كلمات : « انظر زيت البترول » . فيقلب الصفحات الى « زيت البترول » ليجد ان المادة فيه كان يجب ان تكون تتمة لباب النفط ولا مبرر لوضعها لوحدها. ثم ان هيئة التحرير تنسى احيانا ان الموسوعـــة مختصرة ، ولا تتقيد بوجوب الاختصـــار قدر الامكان . فتسمي القدس بيت المقدس. وتقول عن مارون نقاش « هو عربي من اهل سوريا » مما يمكن اختصاره بكلمة « سوري » . وتقول عن كيلرن « منح لقب لورد واصبح عضوا بمجلس اللوردات » وهو ترداد للمعنى لا مبرر له .

ومهما يكن من امر هذه المـآخذ التي يقع اللوم الاكبر فيها على هيئة التحرير ، فان خطورتها اخف من خطورة مجموعة ثانية من المآخذ يقع اللوم الاكبر فيها على كتّـاب المقالات انفسهم : وهي الاخطاء وعدم الدقة في معلومات كثيرة ترد في الموسوعة . فمهما كان فظيعا ان تغفل الموسوعة امر رجل او موضوع مهم ، او ان تضعه في غير المكان الصحيح له ، لا شك انه افظع بكثير ان تعطيك الموسوعة عن موضوع مـا معلومات خاطئة او غير دقيقة . انت تلجـــأ الى الموسوعة لا لتناقشها بل لتأخذ كلمتها . قولها هوالقول الفصل بالنسبة اليك . من هنا كانت الدقة هي القيمة الكبرى لاية موسوعة . فان قدمت الموسوعة معلومات خاطئة ، ولو في مقالات قليلة ، ضاعت ثقة القارىء بهـــا في جميع المواد ، وزال بالتالي مبرر وجودها بين يديه . انه يستعين بها لتكون الحكم بين الدراسات المختلفة حول موضوع معين يهتم هو به . ولكن اذا زالت ثقته بها فلن يرجع لها ثانية . والمؤسف ان الاخطاء في « الموسوعة العربية الميسرة » ليست بالقليلة ، وعلى الاقل ليست بالقليلة في حقل واحد اهتم كاتب هذه السطور به اكثر من غيره: حقل التاريخ العربي المعاصر .

تعتبر الموسوعة حزب الشعب الذي تأسس في سوريا بعد الحرب العالمية الثانية تتمة لحزب الشعب الذي اسسه الدكتور شهبندر ١٩٢٠. والواقع ان لا علاقة بين الحزبين الا في الاسم . وتقول ان في لبنان فرعا من جامعة القاهرة ، والصحيح هو انه فرع من جامعة الاسكندرية . وتقول ان محمد محمود اسس حزب الاحرار الدستوريين في مصر. المؤسس هو عدلي يكن باعتراف الموسوعة نفسها في مكان آخر . وتقول ان الانكليز اسروا نوري السعيد ١٩١٦ من الجيش التركي . وكان السعيد في الواقع قد ترك الاتراك وهرب منذ ١٩١٤ وبدأ يعمل للانكليز في الهند ومصر . وتقول ان حيفا من مدن الجليل ، وهذا خطأ . وتقول ان « الدكتور سعادة » ترأس تحرير « الابحـــاث » ، بينما هو الاستاذ سعيد حمادة . وتسمي دار الكتب الوطنية في بيروت « بالمكتبة الوطنية » . والملك فيصل الاول لم يحـــارب « في صفوف الجيش التركي في سوريا » الى ١٩١٦ كما تقول الموسوعة ، بل انه لم يحارب قط في الحرب الى جانب الاتراك وان كان وعدهم بالمساعدة . ولم يهرب الى الحجاز « حيث انضم الى الثورة العربية التي اشعلهـــا ت . ا . لورنس »، لانه كان في الحجاز عند اشعال الثورة، ولان لورنس لم يكن الشخص الذي اشعل الثورة

بل هو ذهب الى الحجاز بعد عدة اشهر من اشتعال الثورة. ولم ينصب الانكليز فيصلا ملكا على سوريا كما تقول الموسوعة بل نصبه المؤتمر الوطني السوري. اي ان المقال المقتضب عن فيصل يحتوي على اربعة اخطاء في عشرة اسطر. مثله المقـــال عن فلبي: فاسمـه ليس « هـ. جون فلبي » بل « هـ. سانت جون (او سنجن) فلبي ». وهو لم يعمل رئيسا للبعثة البريطانية ١٩١٧ — ١٩٢٠ لدى « المملكة العربية السعودية » لانه لم تكن آنذاك مملكة بهذا الاسم. وهو لم يستقل من وظيفته بالعراق ١٩٢٥ لانه كان قد استقال وغادر العراق منذ ١٩٢١. وفي المقال عن حزب الاستقلال ثلاثة اخطاء ايضا: لم يكن خالد العظم «رئيسا» للكتلة الوطنية ابدا؛ وانقـــلاب حسني الزعيم كان في ١٩٤٩ وليس ١٩٤٨؛ ولم يكن في سوريا في اواسط الخمسينات حزب باسم « حزب الاستقلال العربي ». ولم يخلف الحسين بن علي اباه في امارة مكة ١٩٠٨ لان اباه لم يكن امير مكة قط. الشريف علي ابن عبدالله بن محمد، الذي خلفه الحسين، هو غير الشريف علي والد الحسين: هو احد ابنـــاء عم الحسين. والكتائب اللبنانية لا تشارك النجادة في ان « من اهدافها غرس الفكرة العربية ». ومن غير المعروف عن النجادة ان « من اعمالها النشاط الاجتماعي وتعليم الكبار والتدريب المهني ». ولم يقبض الانكليز على الحاج امين الحسيني ١٩٣٨، بل هو هرب من البلاد قبل ان يقبضوا عليه، وهم لم يقبضوا عليه في اي يوم من الايام.

جزء كبير من الاخطـاء التاريخية في الموسوعة يتعلق بالتواريخ ذاتها، على ما في التواريخ من اهمية تضطر الكاتب الى التدقيق فيهـــا قدر الامكان. وهذه بعض الامثلة: كتشنر لم يسافر الى روسيا اواخر ١٩١٦ ولم يغرق ١٩١٧، بـــل سافر وغرق على الطريق في اواسط حزيران (يونيو) ١٩١٦. ولم يجلس فؤاد، ابن فاروق، على عرش مصر يومـا واحد، بل احد عشر شهرا (تموز، يوليو، ١٩٥٢ — حزيران، يونيو، ١٩٥٣). ولم يمت ابراهيم باشا في ١٨٣٨ بل ١٨٤٨. ولم تشتعل الثورة العربية (كما جاء في مقال «العهد») في ١٩١٤ بل في١٩١٦. ولم يذهب نوري السعيد الى العراق بعد تنصيب فيصل ملكا على العراق بل ذهب في شباط (فبراير) ١٩٢١، بينما نصب فيصل في آب (اوغسطس) من تلك السنة. ولم يهرب حسين بن علي الى قبرص ١٩٢٤ بل ذهب اولا الى العقبة ١٩٢٤ ثم الى قبرص ١٩٢٥. ومن غير المعقول ان يكون بنش قد عين مديرا لقسم الوصاية في الامم المتحدة في ١٩٤٦ بعد اغتيال برنادوت، لان برنادوت اغتيل في ١٩٤٨. وخلف ايزنهاور ترومان في ١٩٥٣ لا ١٩٣٥. وتاريخا مولد ووفاة اللورد هلفكس (١٦٣٣ — ١٦٩٥) ليسا له، لانه ولد في ١٨٨١ ومات في ١٩٥٩. ومن غير المعقول ان يكتب اوسكار وايلد دفاعه عن نفسه ١٩٠٥ ما دام هو قد مـات ١٩٠٠. وعلى صفحة واحدة يرد تاريخان مختلفان لاصـــابة فرانكلين روزفلت بشلل الاطفال: ١٩٢٠ (عند الكلام عن زوجته الينور) و ١٩٢١ (عند الكلام عنه هو).

وقد اعوزت بعض الكتّاب الدقـــة في ضبط المعلومات. كان يجب، في الحديث عن ايدن، ذكر اللقب الذي اصبح يعرف به منذ ست سنوات: « اللورد افون ». وان كانت محلات « وولورث » في بريطانيا كانت قديما تبيع كل شيء بنصف شلن، فانها لم تعد تفعل ذلك. ونعت النقراشي «بمربٍ مصري»، وحسني الزعيم « بثائر سوري »، ومحاولة انقلاب القوميين السوريين في لبنان « بثورة عسكرية »، تعابير غير دقيقة. و « المارون » اسم غير مقبول للموارنـــة. ولا يمكن وصف بطريركهم بانه « مطران ». ولم يعد مجلس النواب اللبناني يتألف من ٤٤ نائبا كما تقول الموسوعة، بل اصبح الرقم ٩٩ منذ سنوات. و « حبرون » التي يرد ذكرها في مقال فلسطين ما هي الا الخليل. و « المهيري »، الذي اسهم بتأسيس عصبة العمل القومي، هو المحايري. وكان يجب التدقيق في سنة وفاة جميل مردم بدل تركه هكذا « ؟ ١٩٥ ». وكتاب عبد المسيح حداد « انطباعات مغترب » « المخطوط » انما هو مطبوع منذ ١٩٦٢. ولم يشكل عبد الرحمن النقيب في عهد الملك فيصل «عدة وزارات» بل وزارتين اثنتين فقط. وتروي

الموسوعة ان وايتهد نال « وسام الاستحقاق » دون ذكر البلد الذي منحه الوسام . وتقول ان ماك آرثر «عين رئيسا لاحدى المؤسسات ١٩٥٢» دون تسميتها .

تخشى ان يكون بعض كتّاب هذا العمل الضخم ، من ذوي الاسماء اللامعة ، قد اعطوا المواضيع التي عهد اليهم امر التحقيق فيها والكتابة عنها اقل بكثير مما تستحقه من الوقت ومن الجهد ومن التدقيق . وهي ، بالطبع ، ليست المرة الاولى التي يعطي فيها كتّاب عرب كبار ما لا يعتزون به لو كان اسم كل واحد منهم موجودا على المقال الذي وضعه . وليست المكان الوحيد الذي قدم احسن الكتّاب فيه اسوأ ما عندهم . لا بد ان يدرك الباحث العربي ، يوما ما ، ان القارىء اصبح من الوعي بان يفضل احسن ما عند كاتب مجهول على مادة غير دقيقة تحمل اسماء ضخمة في عالم الفكر والادب والبحث .

انيس صايغ

الاسلام تجاه تحدّيات الحياة العصريّة

بقلم حسن صعب . دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٥

ما كاد بصري يقع على عنوان ذلك الكتاب الذي اخرجه للناس ، منذ اشهر قلائل ، الصديق الدكتور حسن صعب ، حتى اشفقت على المؤلف وعلى نفسي في وقت معا .

اشفقت على المؤلف لاني ادرك الادراك التام ان امثال هذه الموضوعات التي تمتد طولا الى ما لا نهاية ، وتمتد عرضا الى ما شاء الله ، قد تدفع بالباحث الى مواقف حرجة لا يحسن الخروج منها الا على حساب العمق والدقة .

ان امثال هذه الابحاث لا تمكن الدارس من ان يلم بجميع المواقع ، وان يدرك كل ما في هذه الموضوعات من ابعاد . ومن هنا يعجز العجز كله عن الامتداد عمقا ، وعن استكشاف ما في الاعماق من در وصدف ، وعن اغناء الحياة الفكرية بالجديد من الحقائق او بالحقائق التي قد تقلب الحياة الفكرية رأسا على عقب .

ان امثال هذه الموضوعات لا تغني غناء الابحاث الدقيقة ، المحددة ، الواضحة المعالم ، التي تمكن الباحث من الغوص واستكشاف الحقائق . وهذا اول خلاف يقوم بيني وبين الدكتور حسن صعب في التماس الموضوعات ، ودراستها ، ومحاولة الكشف عما فيها من حقائق ؛ انه يمضي اتساعا – اي طولا وعرضا – وانا امضي عمقا فيما اقدر لنفسي من موضوعات .

لقد اختار الدكتور حسن صعب موضوعا من تلك الموضوعات المترامية الاطراف المختلفة الابعاد . موضوعا يمتد طولا ثلاثة عشر قرنا ، ونصف القرن ، وربع القرن ، ويزيد . ويمتد عرضا الى بلدان كثيرة في المجتمعين الاسيوي والافريقي ، والى بلدان انحسر عنها الاسلام في المجتمع الاوربي – وان تركت في تراثه الثقافي والحضاري آثارا خالدة .

اختار هذا الموضوع الذي تجيش في صدره وبين طياته الآراء والافكار ، والنظريات والمذاهب ، والتراث الثقافي المتعدد الانواع والالوان ، ليجابه به تحديات الحياة المعاصرة . ومن هنا كان اشفاقي على الصديق والزميل .

لست انكر انه المعي ذكي ، ولست انكر انه واسع الاطلاع ، ولكني انكر عليه ان يكون قد اطلع حقا ، وادرك حقا ، كل ما في الاسلام من نظريات ومذاهب ، ومن افكار وآراء – على ما في الشقة من بعد ، وما في المسافة من اتساع – ليجابه بكل ذلك تحديات الحياة المعاصرة ، ويقيمها على اساس من الاسلام .

اني انكر عليه ذلك ، وارى طابع ذلك في الكثير مما كتب .

ولنبدأ بذلك الذي اشار اليه الدكتور صعب